(٤)

معلّم التوراة

لا يقص التلمود علينا أي شيء حول حياة يسوع حتى نهايته بالذات، أي موته العنيف. مع ذلك، لديه بعض الأفكار الغامضة عنه كمعلّم للتوراة، وهذا يتوافق تماماً مع صورة يسوع في العهد الجديد (أنظر على وجه الخصوص ما يسمى بالموعظة على الجبل في متى ٥-٧؛ ووفقاً للوقا ١٩:٤٧، كان يسوع يعلّم كل اليوم في الهيكل، و" كان رؤساء الكهنة و الكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أنْ يهلكوه").[١] تقدمُ إحدى القصص في البابلي يسوعَ ذاتهُ كمعلمٍ للتوراة، يحاور معاصريه من الحاخامات، بل يحفظ لنا تفاسيره الهالاخية. وبطريقة حاخامية نموذجية، تُنقلُ تعاليمه عبرَ فم أحد طلابه المخلصين. مع ذلك، فما يُلفت النظر هنا هو حقيقة أنَّ القصة ليست معنيةً بيسوع نفسه (ولا بتلميذه فهو لا يعينها إلا بالقليل جداً)، بلْ بأحد أتباع يسوع وتعاليمه من *الحاخامات* المفترضين، بعبارة أخرى، إنه يهاجم الطائفة المسيحية من خلال مرآة التصور الحاخامي للمسيحية. تظهرُ القصة في رسالة العبودا زارا البابلية ١٦ آ – ١٧ ب، لكن بحوزتنا هذه المرة موازيات فلسطينية أكثر قدماً.[٢]سأترجمُ هنا

[١] أنظر أيضاً: لوقا ١٢:٣٧؛ متى ٢٦:٥٥؛ مرقس ١٤:٤٩؛ يوحنا ٧: ١٤-١٦، ١٨:٢٠.
[٢] توسفتا حولين ٢:٢٤؛ جامعة راباه ١:٢٤ على جامعة ١:٨ (١:٨[٣]).

النسخة البابلية وفقاً لطبعة فيلنا، وسوف أشيرُ إلى القراءات المختلفة في المخطوطات البابلية إضافة إلى النصوص الموازية إذا كان ذلك ضرورياً:

علّم حاخاماتنا: عندما اعتقل الحاخام اليعازر بسبب هرطقة (مينوت)، أتوا به إلى المنبر كي يُحاكم. قال له الحاكم (*hegemon*)[الروماني]: "كيف يمكن لعجوز مثلك أن يُشْغِلَ نفسه بمثل هذه الأمور الفارغة؟" أجاب [حاخام اليعازر]: "أقرّ بأنَّ القاضيَ موثوق (ثمن)"[1]. ولأن الحاكم كان يعتقد أنه كان يشير إليه - على الرغم، مِنْ أنهُ كان يشير فعلياً إلى أبيه في السماء - فقد قال له: "لأنك اعترفت بأني موثوق،[2] *dimissus*:[3] أنت بريء!"

عندما عاد [الحاخام اليعازر] إلى وطنه، حضرَ تلاميذه لتهدئته، لكنه لم يقبل العزاء. قال له الحاخام معقباً: "يا سيد، هلْ تسمح لي بأن أقول شيئاً واحداً مما كنت قد علمتني؟" أجاب: "قل"! قال [عقيبا] له: "يا سيد، ربما تكون ألقيت (أحد أنواع الهرطقات (مينوت) واستمتعت بها، وبسبب ذلك تم القبض عليك؟ " أجابه[الحاخام اليعازر]: "عقيبا، لقد ذكَّرتني! فذات مرة، كنتُ أسيرُ في السوق العلوي من صفوريه عندما مررتُ[4] بشخص/أحد تلاميذ يسوع الناصري،[5] يعقوبُ، الذي من كفر سخانيا[6] كان اسمه.

---

(1) أيضاً بمعنى "يستأهل الثقة"، "صحيح".
(2) أو "صحيح".
(3) يستخدم البابلي وكل النسخ الموازية هنا الكلمة اللاتينية لكن بأحرف عبرية (*dimus*).
(4) هذه هي القراءة في توسفتا حولين (مصعاني، حرفياً: "وجدت")؛ جامعة راباه تقرأ "و ... جاء إلي"؛ مخطوطات التلمود: "أحد تلاميذ ... وجدني (مصعاني)."
(5) الإشارات الصريحة ليسوع نجدها في المخطوطات التالية: Munich 95, Paris Suppl. Heb. 1337, and JTS Rab. 15.
(6) أو "سخنايا".

قال [يعقوب] لي:[١] مكتوب في توراتك: لا تُدْخِلْ أجرة زانية [ولا ثمن كلبٍ إلى بيت الرب إلهك] (تثنية ٢٣:١٨). هل يمكن استخدام هذه الأموال لصنع مرحاض لرئيس الكهنة؟ الذي لمْ أجدْ له جواباً.

قال [يعقوب] لي: هكذا تعلمت من [يسوع الناصري][٢]: لأنها من عقر الزانية جمعتها[٣] وإلى عقر الزانية تعود[٤] (ميخا ١:٧) – جاءت من مكان قذر، فاتركها ترجع إلى مكان قذر.

أسرتني هذه الكلمة كثيراً، وأنني أُعتقلت بسبب بدعة (مينوت)؛ لأنني تجاوزت ما هو مكتوب في التوراة: ابعد طريقك عنها (سفر الأمثال ٥:٨)- فهذا يشير إلى هرطقة (مينوت)؛ ولا تقرب إلى باب بيتها (السابق) – هذا يشير إلى السلطة الحاكمة (*راشوت*) ".

هناك بعض الذين يقولون: ابعد طريقك عنها (سفر الأمثال ٥:٨)- هذا يشير إلى الهرطقة والسلطة الحاكمة؛[٥]؛ ولا تقرب إلى باب بيتها (السابق) - هذا يشير إلى الزانية.[٦]

وإلى أي مدى (علينا الابتعاد عنها)؟ وقال راب حسدا: أربعة أذرع.

هذه القصة الغريبة، التي تميزت بصيغة تمهيدية كباراتيا، وهي ومن ثم تقليد فلسطيني قديم، تترك المزيد من الأسئلة مفتوحةً أكثر من كونها تجيب عنها. أولاً وقبل

---

[١] توسفتا حولين: " قال لي كلمة هرطقة (مينوت) باسم يسوع بن بانتيري\باندیرا " (التفسير اللاحق من تثنية ٢٣:١٩ وميخا ١:٧ مفقود في الملاحظة ١٥٨ من الفصل الرابع من توسفتا حولين)؛ جامعة راباه " قال لي شيئاً (حرفياً، كلمة معينة) باسم كذا وكذا " (لكن بعض المخطوطات ونسخ جامعة راباه المطبوعة تقرأ: " باسم يسوع بن باندیرا " أنظر: Maier, *Jesus von Nazareth*, p. 296, n. 305, and the chart below, pp. 137f.).

[٢] نقرأ في مخطوطات ميونيخ ٩٥ وباريس Suppl. Heb. 1337، ومخطوطة JTS Rab. 15: " هكذا علّمه يسوع معلّمه ".

[٣] نقرأ هنا *قوبصاه* بدلاً من *قبّاصاه*.

[٤] النقود بالعبرية ترد بحالة الجمع.

[٥] في الجامعة راباه نجد " هرطقة " فقط.

كل شيء، يَظلُّ من غير الواضح بالكامل، لماذا أعتقل حاخام اليعازر؟ وما هي الهرطقة التي دفعتْ بالحاكم (الحاكم الروماني) لأن يشتبه به؟ حاخام اليعازر، هو اليعازر بن هركانوس الشهير (أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للميلاد)، التلميذ المفضل للربان يوحنان بن زكّاي ونموذج الحماسة والتصميم الحاخاميين.[1] مع ذلك، فالسلطات الرومانية لم تقبض عليه بالتأكيد بلا موجب، لكن التهمة الوحيدة التي نسمعها من المحاكمة هي أنه كان يُشْغِلُ نفسه "بمثل هذه الأمور الفارغة "[2]. مع أنَّ المتهمَ لَمْ يكلّف نفسه عناء حتى الدفاع عنها. إنه ببساطة يضع مصيره في أيدي القاضي السماوي. لكن القاضي الدنيوي، الذي اعتقد أنَّ المتهم يشير إليه، قام بتبرئة الحاخام.

وماذا كانت " الأمور الفارغة " التي شغلت الحاخام ذاته، وعادت عليه بغضب السلطات الرومانية؟ الغريبُ، أنَّ الحاخام اليعازر لا يَعْرفُ هو ذاته بماذا أُتُّهِم وكان بحاجةٍ، لأنْ يذكّرهُ أحدُ تلاميذه (عقيبا). والأسوأ من ذلك، يبدو أن الحاخام قَبِلَ الاتهام لأنه – بدلاً من أن يكون سعيداً بالإفراج عنه، الذي كان واضحاً أنه لم يكن متوقعاً – كان بحاجة لتعزيته عما فعل. مفتاح للاتهام الغامض يمكن أن نجده في إضافة إحتفِظَ لنا بها في نسخة من توسفتا حولين لقصتنا فقط. وهناك، يقول الحاكم: "لأنك اعتبرتني موثوقاً من قبلك، فأنا ومن ثم أقولُ (= أحكم) لك:[. . .] dimissus: أنت بريء "! للأسف، فما قاله الحاكم على وجه التحديد قبل أن يصل إلى استنتاجه، dimissus، صَعْبٌ فهمه. النص العِبري يقول: *إفشار شسيبو هلّالو توعيم با-دفاريم هلّالو*؛ والكلمة الحاسمة هنا هي *شسيبو*، التي لا معنى هام لها في السياق الحالي. لذا فقد اقترح بعض الباحثين التخمين التالي: *شه-ها-*

[1] حول إليعيزر بن هيركانوس، أنظر: Jacob Neusner, *Eliezer Ben Hyrkanus: The Tradition and the Man*, 2 vols., Leiden: Brill, 1973. من أجل تحليل نويسنر لقصتنا أنظر: vol. 1, pp. 400–403, and vol. 2, pp. 366f.؛ نويسنر متأكد من أن إليعيزر " لا يمكن أن يكون مين "، مع أنه " يبدو من الصعب القول ما إذا كانت الرواية التي أمامنا تحكي عن شيء حدث بالفعل " (vol. 2, p. 367).

[2] من بين النسخ الثلاثة جميعاً، وحدها توسفتا حولين تترك " فارغ ".

سيفوت\صيفوت *هلآلو* (من *شفا\صفا*، شعر رمادي)، ومن هنا يصبح المعنى: " هل يمكن لشعر رمادي كهذا أن يخطئ بأمور كهذه؟ ". وعلى ذلك يكون الجواب: " من الواضح، لا، لذلك: dimissus: أنت بريء!"[١] المشكلة مع هذا التخمين، هو أنه يتطلب إضافة حرف واحد لا نجده في المخطوطات (*شسيبوت* = *شه-ها-سفوت\صفوت*)، وعلاوة على ذلك، فهو لا يساعد على فهم أفضل لقرار الحاكم (لمجرد أنَّ الحاخام كان عجوزاً، فقد كان لابد من تبرئته مهما كان اتهامه خطيراً؟)[٢]. وكان ماير قد اقترحَ حَلاً مختلفاً معقولاً جداً . فهو يقترح القراءة الإشكالية على أنها الفعل هسبو ويقدّم الترجمة التالية: "هل يمكن أنهم (الحاخام ....) كانوا مضطجعين بانتظار وجبة طعام (مستلقين من أجل عشاء في شراكة)؟ هؤلاء [المتهِمون] يخطئون فيها يتعلق بهذه المسائل، ومن ثم يقولون: *dimissus*: أنتم أبرياء"[٣]. وإذا ما

---

[١] هذه ترجمة نويسنر في *The Tosefta Translated from the Hebrew, Fifth Division: Qodoshim (The Order of Holy Things)*, New York: Ktav, 1979, p. 74، وعلى نحو شبه متطابق في *Eliezer Ben Hyrkanus*, vol. 1, p. 400؛ أنظر أيضاً: Saul Lieberman, "Roman Legal Institutions in Early Rabbinics and in the Acta Martyrorum," *JQR*, n.s., 35, 1944/45, pp. 20f.

[٢] النسخة في جامعة راباه لا تساعد أيضاً، لأنها تقرأ: " هل يمكن أن تخطئ هذه المدارس الحاخامية (*يشيفوتهلالو*) بمثل تلك الأمور؟ (يجد ليبرمان ص ٢٠، رقم ١٢٩، في جامعة راباه الكلمة المشوهة سيسبوت التي يصلحها إلى *شه-سافوت*،لكن إصلاحها إلى شه-يشيفوت، كما نقرأها في الواقع في النسخة المطبوعة، أكثر معقولية بكثير). من الممكن، بالطبع، أن زملاء الحاخام إليعيزر رشوا الحاكم وأنه يستخدم شعره الرمادي = التقدّم في العمر وعلامة الحكمة " كعذر " على براءته، لكن تفسيراً كهذا لا يقنع كثيراً. لفت ريتشارد كالمين (في ملاحظة مكتوبة على مخطوطتي) وأحد القرّاء المجهولين انتباهي إلى حقيقة أن الحرف المفقود في شسيبو[ت] ليس غريباً على التوسفتا أو على المخطوطات العبرية كلها. وهذا صحيح قطعا، لكن مع ذلك، لماذا لا يوجد مؤشر على اختصار (شيسبو) ولماذا حرف حاسم كهذا في عبارة حاسمة كهذه؟ من الواضح أيضاً، أن " الشعر الرمادي " متأثر بترجمة *زاقين* التي تعني " عجوزاً "، لكن ليس هذا ملزماً. وكما يذكّنا سولومن زايتلن ("Jesus in the Early Tannaitic Literature," in *Abhandlungen zur Erinnerung an Hirsch Perez Chajes*, Wien: (Alexander Notes to Chapter 4 159 Kohut Memorial Foundation, 1933, p. 298)، فزاقين يمكن أن تعني أيضاً " عالم، حكيم " وليست بالضرورة إشارة إلى التقدم في العمر والشعر الرمادي.

[٣] Maier, *Jesus von Nazareth*, pp. 152–154. لا يفهم ماير الجزء الأول كسؤال بل كقول، لكن المعنى يظل هو ذاته. إن ضعف هذا التفسير، كما يشير ريتشارد كالمين بحق، هو أن الحاكم يشير فجأة ليس فقط لحاخام إليعيزر بل إلى مجموعة من المشبوهين ويظل مفتوحاً على السؤال المتعلق بخطأ المتهمين. كان باستطاعة المرء أن يجيب بأن وحده الحاخام إليعيزر الذي كان قد تم الإمساك به أو أن الحاكم كان يرغب بأن يصنع أمثولة من الحاخام اليعيزر (العجوز والمحترم) - وأن التوسفتا لم تنو بأية حال تقديم سجل لإجراءات المحكمة.

اعتمدنا هذا التفسير، فالحاكم الروماني يبرئ الحاخام اليعازر من المشاركة في وجبة محرمة (symposium)، أو *agape* [محبة – مترجم] مسيحية أو نوع من العبادة المعربدة (*Bacchanalia* [عيد باخوس]) أو كلا الأمرين، لأنَّ الوجبة المسيحية، يمكن بسهولة، أن يُساء فهمها باعتبارها، عبادةً غامضةً وتآمريةً، تترافق بطقوس معربدة.[1] والهرطقة (مينوت) التي اتهمه بها بعض المخبرين المجهولين، يمكنُ أنْ تكون ومن ثم عضوية عبادةً\المسيحية محرمة، وهو اتهام خطير، أوْجبَ تَدخّلُ السلطات الرومانية. إذا كانت هذه هي الحالة حقيقة، فلا شيء في التعليم الهرطوقي المفترض، الذي استمع له الحاخام اليعازر من يعقوب باسم يسوع (بن بانديرا) واستمتع به للغاية، يَدْعمُ مثل هذا الاتهام. دعونا نلقي نظرة أكثر قرباً على نسخة من سفر الجامعة راباه، والتي هي أكثر تفصيلاً وأكثر تماسكاً. وهناك، يقول – باسم يسوع – ما يلي:[2]

[يعقوب]: " مكتوب في توراتك: لا تدخل أجر زانية ولا ثمن كلب[3] إلى بيت الرب إلهك [كدفعات] عن نذر [لأنها كليهما رجس لدى الرب إلهك] (سفر التثنية. ١٨:٢٣). فما الذي يجب أن نفعله (بالمال)؟ "

فقلت [حاخام اليعازر] له: " إنه محرم [في كل استخدام]".

[1] Justin, *Dialogue with Trypho*, 10:1; Tertullian, *Apology*, 7 and 8؛ أنظر لاحقاً. إن تهمة التحلل الجنسي كسمة بارزة للمسيحيين\المسيحيين اليهود كانت معروفة أيضاً في الأدب الحاخامي لكنها تصبح واضحة من قصة عن الحاخام يوناثان، وهو أمورا فلسطيني من الجيل الأول، في الجامعة راباه ١:٢٥ على جامعة ١:٨ (١:٨ [٤])، التي ترد مباشرة بعد قصتنا عن الحاخام إليعيزر (الترجمة بحسب Visotzky, *Fathers of the World*, p. 80)، التي تعتمد على تحرير نقدي لمارك ج. هيرشمان: " هرب أحد تلامذة الحاخام يوناثان إليهم [المسيحيين اليهود ؟]. فذهب ليجد أنه صار [بالفعل] واحداً من أولئك الأشرار. أرسل الهراطقة [رسالة للحاخام يوناثان]: حاخام، تعال وشارك بأعمال المحبة–اللطف للعريس. فذهب ليجدهم منشغلين [جنسياً] مع امرأة شابة. فصاح متعجباً: أهذه هي طريقة تصرف اليهود؟ فأجابوا: أليس مكتوباً في التوراة: تلقي قرعتك فيما بيننا، ويكون لجميعنا كيس واحد (أمثال ١:١٤)؟ هرب فأسرعوا خلفه حتى وصل إلى باب بيته فصفعه في وجوههم. فتهكموا عليه قائلين: حاخام يوناثان، اذهب وتباه أمام أمك بأنك لم تستدر ولم تنظر إلينا. لأنك لو استدرت ونظرت إلينا، فسوف تطاردنا أكثر مما نطاردك ".

[2] QohR 1:24 on Eccl. 1:8 (1:8 [3]).

[3] ربما تكون تورية المقصود بها عاهرة ذكر.

قال [يعقوب] لي: "وهو محرّم كقربان، لكن يجوز التخلص منه."

أجبت: "في هذه الحالة، ما الذي يجب أن نفعله به؟" قال لي: "دعونا نصنع به بيوت حمّام ومراحيض".

أجبت: "لقد تحدثت بشكل جيد لأن [هذه الهالاخا[1] [حكم شرعي، جمعها هالاخوت – مترجم] على وجه الخصوص] غابت عن ذاكرتي في الوقت الراهن."

وعندما رأى أنني أقر بكلماته، قال لي: " وهكذا قيل كذا وكذا (*بلوني*): من القذارة جاءوا وإلى القذارة سيخروجون (= يجب أن ينفق على القذارة)، حيث يقال: لأنها من عقر الزانية جمعتها وإلى عقر الزانية تعود (ميخا ١ :٧) – دعونا ننفقها على المراحيض العامة"! لقد أسرّني هذا [التفسير]، وبسبب هذا تم اعتقالي بتهمة الهرطقة (مينوت).

هذه هالاخا مبرهنة جيداً ومقبولة تماماً: تحرّم التوراة استخدام الأموال التي تكتسب من عاهرة[2] في شراء قربان للهيكل (وفاء لنذر). والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان هذا المال محرّماً فقط للأغراض الطقسية لكن يمكن استخدامه لبعض الأغراض الأخرى، أو ما إذا كان محرّماً بالمطلق. حاخام اليعازر، الذي يعرب عن رأي هالاخي أكثر صرامة، يحرّم مال الدعارة تماماً، في حين أن يسوع/يعقوب يأخذ نهجاً أكثر تساهلا ويسمح بإنفاق المال في المصلحة العامة: أن يبنى به حمامات ومراحيض. فالحمامات والمراحيض على حد سواء هي المنشآت التي يتم فيها التخلّص من القذارة – وأي استخدام أفضل من هذا يمكن أن يكون للأموال التي تدين بأصولها إلى القذارة (يذهب البابلي على نحو شبه تهكمي خطوة أخرى: بل يمكن استخدام الأموال لبناء مرحاض لرئيس الكهنة، الذي يفترض أن يكون في موقع

[1] توحي ترجمة سنسينو بأن الهالاخا التي تقول بعدم الاستماع إلى كلمات مين غابت عن ذاكرته، لكن الأرجح أن الحاخام إليعيزر إنما يشير هنا إلى هالاخا تتعلّق بالدخل الذي تحصل عليه من البغاء.

[2] في السياق التوراتي، بناء الهيكل، لكنه يستخدم هنا في سياق أوسع بمعنى النقود التي تجنى من أي بغاء (أنثى أو ذكر).

الهيكل)؟ ليس فقط أن حاخام اليعازر يقبل بحكم يعقوب/يسوع الهالاخي، بل يستمتع على وجه الخصوص بالدليل من النص التوراتي ميخا ٧:١ وتطبيقه على الحالة الراهنة.

ليس هنالك شيء مسيحي مميز فيما يخص هذا الخطاب الهالاخي. فكون أحد الحاخامات يعبّر عن رأي أكثر صرامة، في حين يعبّر خصمه عن رأي أكثر تساهلاً هو أمر شائع، والنتيجة هي أن القرار الأكثر تساهلا يصبح القرار المقبول. وهكذا، هل علينا أن نَصْرِف النظرَ عن "اكتشاف" حاخام اليعازر الخاص - أنه أدين بالهرطقة، لأنه استمتع بهذا التفسير الهالاخي الخاص – لأنه غير معتمد بالكامل؟ إجابتان ممكنتان على هذا السؤال لا تستبعد إحداهما الأخرى بل، تتكاملان تبادلياً. الإجابة الأولى، الواضحة تماماً، تقول: إن مسألة ما إذا كانت مضامين الهالاخا بحد ذاتها تشير إلى المسيحية أو لا فهو أمرٌ لا صلة له بموضوعنا. والوصية التوراتية " إبعد طريقك عنها؛ ولا تَقْرُبْ إلى باب بيتها " (سفر الأمثال ٥: ٨) إنما تشير، وفقاً لتفسير حاخام اليعازر نفسه، إلى الهرطقة وإلى السلطة الرومانية الحاكمة. لقد تعدى على هذا الحكم لتورطه مع شخص كان يُعَرف بأنه تلميذ ليسوع، وكان من أصحاب السمعة السيئة، بسبب آرائه المهرطقة. بعبارة أخرى، فإنه ليس مهماً *ما* قِيلَ وعُلِّم، بَلْ *مَنْ* فَعَلَ ذلك. فحتى لو كانت تعاليم مهرطق متطابقة مع تعاليم الحاخامات وهي ومن ثم صحيحة هالاخياً، الأمر لا يهم: أنها باطلة وخطيرة لأنها تخرج عن مهرطق.

مع ذلك، فحتى لو كان محرماً الاحتكاك مع مهرطق (على الرغم من تصحيح استدلالاتها الهالاخية)، فهذا لا يبدو أنه القصة الكاملة. إذا كان لنا أن نلقي نظرة أكثر قرباً على الآية من التوراة من سفر الأمثال (٥: ٨)، يمكن أن نكتشف معنى أكثر عمقاً. هذه الآية، التي يختتم بها حاخام اليعازر بحثه الذاتي في نُسِخَ قصتنا الثلاث جميعاً، إنما تشير في الأصل إلى " امرأة غريبة" أو "متهتكة،" الزانية، التي تقطر شفتاها

عسلاً، لكن نهايتها الموت (٥: ٣-٥). التوسفتا لا تفسّر الآية بشكل صريح،[١] لكن كلاً من البابلي والجامعة راباه يربطان أحد جزئي الآية بالهرطقة والجزء الآخر بالدعارة.[٢] بعبارة أخرى، إذا ما أخذنا النص الذي يشكل البرهان على نحو خرافي، فالحاخام اليعازر يعترف[٣] أن ذنبه مُكوّن من هرطقة متصلة بالدعارة. هذا التفسير يعزز قراءة توسفتا حولين، حيثُ اشتبه بأن حاخام اليعازر لَمْ يكن متورطاً مع العاهرة فحسب (أمر سيء بما يكفي لحاخام مثله صارم وورع)، بل أيضاً المشاركة في حفلات جنس جماعي.

استمرار وصف "المرأة المتهتكة" في الأمثال يزداد وضوحاً. وفي الإصحاح السابع، تدعى صراحة عاهرة التي تكمن في انتظار شاب لتغويه (سفر الأمثال ٧: ١١-١٥):

صاخبة هي وجامحة في بيتها لا تستقر قدماها.
تارة في الخارج وأخرى في الشوارع، وعند كل زاوية تكمن؛
فأمسكته وقبلته وأوقحت وجهها وقالت له،
على ذبائح السلامة اليوم أوفيت نذوري؛
فلذلك خرجت للقائك لأطلب وجهك حتى أجدك!

هذا الوصف المتلون للعاهرة، هو الأمرُ الأكثرَ لفتاً للنظر في سياقنا، كما أنه خَلقَ علاقةً غيرَ متوقعة أبداً بين سلوكها المغري وتقدمة الهيكل، العلاقة بالذات التي يحرمها سفر التثنية ١٩:٢٣ والتي يشير إليها التفسير الهالاخي ليعقوب/ يسوع في قصتنا. لا يمكن أن يكون هذا الأمر صدفة. ويبدو ومن ثم أن مُحرر قصتنا يريدها أن

---

(١) لكنها تختم القطعة بقول للحاخام إليعيزر: " على المرء أن يهرب دائماً مما هو بشع (كعور) ومن كل ما يبدو بشعاً ". وربما أن " بشع " إنما هي إشارة إلى الانخراط في النجاسة الجنسية؛ أنظر: Maier, *Jesus vonNazareth*, p. 158.

(٢) تفسير البابلي أكثر تعقيداً: يربط أولاً القسم الأول من الآية بالهرطقة والقسم الثاني بالسلطة الرومانية؛ وفي تفسير ثان (مجهول المرجع) يربط الجزء الأول بالهرطقة والسلطة الرومانية والجزء الثاني بالدعارة.

(٣) أو، على الأرجح، التفسير مجهول المرجع يجعل الحاخام إليعيزر يعترف.

تتضمن أمرين: أولا، لقد أدين حاخام اليعازر بالفعل بأنه عضو في طائفة محرمة (معربدة)؛ وثانياً، في تورطه (المزعوم) مع عاهرة، التي تدفع من أجرة عهرها لتقدمتها في الهيكل، فهو ينتهك هالاخا يسوع (وهالاخاه الخاصة أيضاً) التي تعتبر أن هذه الأموال يجب أن لا تستخدم لأغراض تتعلق بالهيكل.

لقد حاول الباحثون أن يربطوا بصعوبة بين الحاخام اليعازر بن هركانوس التاريخي وبين المسيحية الوليدة في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني.[1] أنهم يفترضون أن يعقوب، تلميذ يسوع، هو إما يعقوب أخو يسوع (مرقص ٦: ٣؛ متى ٥٥:١٣) أو يعقوب تلميذ يسوع، ابن حلفى (مرقص ١٨:٣؛ متى ١٠: ٣؛ لوقا ١٥:٦؛ أعمال ١٣:١؛١٥؛١٣:١٣)، وأن محاكمة اليعازر لها علاقة باضطهاد المسيحيين في أوائل القرن الثاني.[2] لكن هذا يَفترِضُ مُسْبقاً، تمدداً زمنياً تماماً، لأن اللقاء مع يعقوب / جيمس في صفوريه لا بد أنه حَصَلَ قبل المحاكمة بزمن طويل (إذا كان يعقوب هو يعقوب، ابن حلفى، وقد رُجِمَ هذا الأخير حوالي العام ٦٢ م): ليس فقط أنه لا بد أن كثيراً من الوقت مَرَّ بين مؤامرة الهراطقة في صفوريه والمحاكمة، بل لا بد أن يكون حاخام اليعازر قد عاش إلى سن متأخرة للغاية حين قُدِّمَ أخيراً للمحاكمة (ناهيك عن حقيقة أن السلطات الرومانية استغرقت وقتاً طويلاً غير لائق لمقاضاته على جريمته).

إن إعادة بناء تاريخية كهذه لهرطقة حاخام اليعازر وميله إلى المسيحية غير محتملة أبداً، وهي ضحية سهلة لفطنة ماير البحثية.[3] ووارد جداً أنَّ قصتنا إنما تعكس لقاءً بين حاخام اليعازر التاريخي وتلميذ تاريخي ليسوع في مدينة صفوريه في الجليل، ناهيك عن أنَّ القرار الهالاخي المتعلق بأجرة الزانية إنما يشير إلى مقولة أصيلة ليسوع.

---

[1] أنظر المراجع الوافية في .Maier, Jesus von Nazareth, p. 159, n. 327

[2] أنظر: Herford, *Christianity*, pp. 137ff. (around 109 C.E.); Rudolf Freudenberger, "Die *delatio nominis causa* gegen Rabbi Elieser ben Hyrkanos," in *Revue internationale des droits de l'antiquité*, 3rd ser., 15, 1968, pp. 11–19؛ بويارين مقتنع، دون مزيد من النقاش، أن الأمر كان جزءاً من الاضطهادات التراجانية للمسيحية (*Dying for God*, p. 26)، حيث من الواضح انه يسير على خطى ليبرمان، .Roman Legal Institutions," p. 21"

[3] *Jesus von Nazareth*, p. 163؛ أنظر أيضاً: Boyarin, *DyingforGod*, p. 31

لكننا نعيد من جديد، أنه ليس هذا ما سنضعه على المحك هنا. إن تفنيد هكذا تاريخية ووضعية خام، لا يعني أن القصة لا تعكس نوعاً من الواقع، وعلى نحو أدق بعض المعرفة الحاخامية بيسوع والمسيحية. ولدينا شواهد لا بأس بها على وجود اسم يسوع (يسوع بن بانديرا/يسوع الناصري) في هذه المخطوطات، ومحاولات ماير لرميها خارج النص أو للقول إنها مجرد إضافات[1] من وقت لاحق ليست غير قسرية. لذلك من المعقول القول، إنَّ القصة لها في الواقع علاقة بيسوع (تعاليم يسوع)، وإن هرطقة حاخام اليعازر تشير إلى المسيحية.

السؤال الحقيقي، لذلك، هو: ما هي بالضبط هذه الحقيقة المتعلقة بالمسيحية والتي تكشف عنها المصادر الحاخامية؟ فوفقاً لبويارين – الذي سلّم جدلاً بجرأة ودون كثير من اللغط، أنَّ الحاخام اليعازر أُعتقِلَ بسبب المسيحية[2] – تعكسُ قصتنا الخطاب الحاخامي الأولي مع المسيحية الناشئة (التي كانت لا تزال تعتبر جزءاً من اليهودية)، وهي تحرض في آن على الانجذاب للمسيحية والنفور منها.[3] وحاخام اليعازر هو "شخصية عتبة الشعور بالذات "، الذي يجسد التوتر بين اليهودية الحاخامية والمسيحية؛ ومن خلاله الحاخامات " يعترفون وينكرون في آن، وفي الوقت ذاته، أن المسيحيين منا، وهو ما يحدد معالم الهوية الافتراضية بينهم وبين المسيحيين في عالمهم وفي الوقت نفسه، يسعون بنشاط كبير لتدشين الفرق بين الطرفين "[4]

هذا صحيح بالتأكيد، وبويارين يبذلُ جهداً مؤلماً كي يضمن للقارئ أنه لا يسير في هَذي النماذج الوضعية المفرطة في التبسيط، بل هو يَتّبع " منهجيات جديدة"، والتي تعتبر، أنَّ حاخام اليعازر "لَم يعد شخصية تاريخية في القرن الأول، بل شخصية " وهمية " في القرن الثالث"، وأنه يصل إلى نتائجه التاريخية " التي لا تتعلق بالأحداث،

---

[1] Maier, *Jesus von Nazareth*, p. 165
[2] Boyarin, *Dying for God*, p. 27 with n. 22
[3] Ibid., p. 27.
[4] Ibid., p. 32

بل بالأيديولوجيات، الحركات الاجتماعية، البنى الثقافية، وبشكل خاص القمع ".[١] لا أحد يريد الاعتراض على مثل هذا النهج اليوم :ليس الحدث " كحقيقة" تاريخية راسخة وقابلة لأن تثبت ما هو على المحك هنا، بَلْ ما نشأ حولَ هذا الحدث بكل تعقيداته وتشعباته التاريخية.[٢] مع ذلك فعلينا أن نرسم خطاً دقيقاً أيضاً بين الشخصية "التاريخية" والشخصية "الخيالية"، وبين "الحدث" و "البنيان الثقافي." فالإثنان على ارتباط وثيق، وحتى إذا خاطرنا بالعودة إلى عادات الوضعية السيئة، فأنا أريدُ أنْ أفترضَ أنَّ الحاخامات مع قصصهم، بما في ذلك قصتنا الحالية، إنما يكشفون عن أكثر من مجرد الوعي (والاعتراف) بخروج المسيحية من الأرضية المشتركة مع اليهودية الحاخامية .فالأرجح أن هذا الوعي وهذا الاعتراف ليسا مجرد بنيانين مُجرَّدين، بل إنهما مؤسسان بعمق على *واقع* وعلى *اختبار* ما كان قد حدث. والاثنان على حد سواء يمكن وصفهما بتفصيل أكبر، الأمر الذي نحتاجه . وبقدر ما تكون القصص عن يسوع وأتباعه هي المعنية، فهي في الواقع تكشف عن بعض المعارف بالطائفة المسيحية وبطلها، وهذه المعرفة ليست مجرد خليط مشوه وغامض من هذا وذاك، لكنها هجوم مصمم جيداً على ما اختبره الحاخامات باعتباره الرسالة اليهودية-المسيحية.[٣]

وبعد أن نضع في ذهننا هذه الاعتبارات المنهجية، دعونا نستعرض بإيجاز قصة اليعازر مرة أخرى .فهي تجمع بين سمتين كلٍّ بطريقتها الخاصة وكل واحدة منهما، إنما هي ردٌّ على رواية العهد الجديد.

(١) السمة الأولى، وهي جوهر القصة، وتتمثل في التهمة الموجهة لحاخام اليعازر، المهرطق المسيحي المزعوم، بالعربدات الداعرة\الجنسية. التهمة تتناسب تماماً

---

[1] Ibid., p. 31

[٢] مع ذلك، فإن فرض هذه المقاربة ليس عملاً سهلاً. وحتى في عرض بوبارين، ثمة فجوة بارزة تظهر بين النية والتطبيق: غالباً ما يظهر تفسيره كأنموذج لإعادة بناء واقعية للوقائع ويتعجب واحدنا ما إذا كان ينسى ببساطة أحياناً نواياه الصحيحة منهجياً.

[٣] حول التمييز الهام بين المصادر الفلسطينية والمصادر البابلية؛ أنظر لاحقاً.

مع ما نسمعناه حتى الآن عن يسوع نفسه: لقد كان طفلاً غير شرعي من علاقة لأمه مريم مع جندي روماني اسمه بانديرا، وأنه عاش هو ذاته حياة لا علاقة لها أبداً بالاحتشام، وأنه حُرِمَ من قبل معلّمه، بسبب أفكارِهِ التافهة. ويبدو أن يسوع والانتهاك الجنسي موضوعة متكررة في معالجة التلمود للمسيحية، وأن قصة اليعازر، هيَ أقربُ دليل على هذه الفكرة.[1] مع ذلك، فالتهمةُ هناك غير موجهة ضد يسوع، بَلْ ضد أتباعه. وسوف نرى أنَّ هذا الاختلاف النوعي يتطابق مع شذرات من المناظرات المعادية للمسيحيين، والتي استشهد بها مؤلفون مسيحيون من القرن الثاني.[2] وعلى أية حال، فهذه السمة في قصة اليعازر قريبة جداً مما كان ينظر إليه على أنه الواقع التاريخي للمسيحية اليهودية الناشئة.

(٢) السمة الثانية – التي أكّدها باقتدار بويارين، في أعقاب ليبرمان[3] وغوتمان[4] - هي أكثر لا مباشرية، لكنها تصبح واضحة فقط عندما ننظر على نحو أقرب إلى الشخصية الحاخامية للحاخام اليعازر بن هيركانوس. فحاخام اليعازر، اشتهَرَ بصِدامِهِ مع زملائه الحاخامات، بشأن مسألة هالاخية بسيطة، وإن كانت مُعَقّدة، وتتعلق ببناء فرن أخناي. وحينَ لَمْ يوافق زملاؤه على حجته، التجأ إلى بعض الأساليب " غير الأرثوذكسية ":

عُلِّم: في ذلك اليوم استخدَمَ الحاخام اليعازر كل حُجَّةٍ يمكن تصورها، لكن [زملائه] لم يقبلوها منه.

---

[1] من المهم كفاية، أن الحاخام حسدا ذاته الذي يختتم قصتنا (في البابلي وفي الجامعة راباه) بعبارة تهكمية بأنه على المرء أن يبتعد أربعة أذرع عن العاهرة،يلعب دوراً بارزاً في عدد من قصص البابلي حول يسوع.

[2] أنظر لاحقاً.

[3] في محاضراته غير المنشورة.

[4] Alexander Guttmann, "The Significance of Miracles for Talmudic Judaism," *HUCA* 20, 1947, pp. 374ff.; idem, *Studies in Rabbinic Judaism*, New York: Ktav, 1976, pp. 58ff.

قال لهم: "إذا كانت الهالاخا تتفق معي، دعوا شجرة الخروب تثبت ذلك!" [عندها] تم اقتلاع شجرة الخروب من مكانها مئة ذراع – آخرون يقولون، أربع مئة ذراع. فردّوا: " لا يمكن الحصول على دليل من شجرة الخروب! "

ومرة أخرى قال لهم: "إذا كانت الهالاخا تتفق معي، دعوا جدول الماء يثبت ذلك! " [عندها] تدفقت مياه جدول الماء إلى الخلف. فردّوا: " لا يمكن الحصول على دليل من جدول المياه! "

ومرة أخرى قال لهم: "إذا كانت الهالاخا تتفق معي، دعوا جدران المدرسة تثبت ذلك! " [عندها] مالت جدران المدرسة للسقوط. لكن الحاخام يهوشوا وَبَّخُهم قائلاً: " حين ينهمك العلماء بنزاع هالاخي، لماذا تتدخلون أنتم؟ " ومن هنا فهي لَمْ تَقع، تكريماً للحاخام يهوشوا، كما أنها لَمْ تَسْتَعِد استقامتها، تكريماً للحاخام اليعازر. فهي لا تزال قائمة وإن كانت مائلة.

ومرة أخرى قال لهم: "إذا كانت الهالاخا تتفق معي، دعونا نثبت الأمر من السماء! " [عندها] صاح صوت سماوي (*باتقول*): "لماذا النزاع مع حاخام اليعازر- لأن الهالاخا تتفق معه بكل المسائل! " [عندها] نهض الحاخام يهوشوا وقال: " إنها [التوراة] ليست في السماء "(سفر التثنية ١٢:٣٠). ماذا يعني: ليست هي في السماء؟ قال حاخام يرميا: "لأن التوراة أُعطيت على جبل سيناء فنحن لا نولي اهتماماً للصوت السماوي، لأنك [الله] كتبتُ منذ زمن طويل في التوراة على جبل سيناء: مائلاً وراء الكثيرين للتحريف " (سفر الخروج (٢:٢٣)).[١]

ما الذي يجري هنا؟ نزاع روتيني هالاخي إسْتَهلهُ الحاخامات حول مسألة ليست بأهمية خاصة، ثم انحرف عن مساره. لا يمكن لحاخام اليعازر تأكيد نفسه في

[1] b BM 59b.

هذا النزاع فيلجأ من ثم إلى الوسيلة الأقوى التي تحت تصرفه: السحر.[1] فيحرّك شجرة الخروب، يجعل تيار المياه يتدفق إلى الوراء، يُهددُ بتدمير المدرسة التي اجتمع فيها الحاخامات ، وأخيراً يحصل على موافقة من السماء. لكن دون جدوى. فَسِحْرُهُ لَمْ يؤثر بزملائه حيث أعلنوا بهدوء أن القضايا الهالاخية لا تُقرّر بالسحر. وبقدر ما يتعلق الأمر الصوت السماوي، فهم يعلنون ببرودة أكثر، أنهُ من الأفضل للهِ أن لا يتدخل في هذه الأمور، لأنَهُ أعطى التوراة لخلائقه - وسلطة اتخاذ القرار في حالة النزاع ترجع للحاخامات.[2]

ما هو على المحك هنا هو المنطق الرصين الهالاخي، بحسب قرار الأغلبية مقابل السحر، والرسالة هي: السلطة الحاخاميةُ تقومُ على القواعد الحاخامية للعبة، وليس على السحر، ولا حتى عندما تستحسنه السماء. في محاولته لنقضِ إجماع زملائه الهالاخي بحيله السحرية وتدخل السماء، انتهك الحاخام اليعازر جوهر السلطة الحاخامية. وفقاً لذلك، تمَّتْ معاقبته بأقسى ما يمكن وبأسوأ عقابٍ كان بمتناول يد الحاخامات (والذي هو، كما لاحظ كثيرٌ من العلماء، يتناسب بالكامل مع أهمية النزاع الهالاخي) – الحرم: " لقد قيل: في ذلك اليوم بالذات فإن جميع الأشياء التي كان الحاخام اليعازر قَدْ اعتبرها طاهرةً جُلبت وأحرقت في النار (باعتبارها نجسة). ثم قاموا بالتصويت وحرموه. "[3] يرسلُ الحاخامات الحاخام عقيبا، أحد أعظم علماء هذا الجيل، لإبلاغ الحاخام اليعازر بقرارهم الرهيب، لأن شخصاً أقلَّ احتراماً ولباقة قَدْ يُثير غضبه الجامح ويؤدي به لإطلاق قواه السحرية وتدمير العالم. يبذل الحاخام عقيبا جهداً كبيراً في تنفيذ مهمته الحساسة، مع ذلك، فحين أدرك الحاخام اليعازر ما

[1] ممارسة سحرية أخرى يقوم بها الحاخام إليعيزر تحفظها لنا سنهدرين البابلية ٦٨ آ. وهكذا، وبناء على طلب زميله الحاخام عقيبا بأن يعلمه فن الزراعة السحرية للخيار، يتملك إليعيزر حقلاً يغطيه الخيار بكلمة سحرية واحدة، والخيار يجمع في كومة واحدة بكلمة سحرية أخرى.

[2] إن النص–البرهان الذي يستخدمه الحاخام يرميا يمكن أن يكون كل شيء إلا أن يكون مقنعاً: في سياقه التوراتي الأصلي لا يقول إلا النقيض.

[3] حرفياً: " باركوه "، وهي تعبير لطيف لـ" حرموه ".

فعله به زملائه، مزق ثيابه أيضاً،[1] وخلع حذاءه، رفع [مقعده]، جلس على الأرض، وانهمرت الدموع من عينيه. كان العالم من ثم مصاب: ثلث محصول الزيتون، ثلث محصول القمح، وثلث محصول الشعير. يقول بعضهم، إنه حتى العجين انتفخَ بين أيدي النساء. عُلّم: مهولة كانت الكارثة التي حلت في ذلك اليوم، فكلُ شيءٍ نَظَر إليه [حاخام اليعازر] بعينيه احترق.[2]

حتى في هزيمته، يثبتُ حاخام اليعازر مرة أخرى قوته السحرية - والحاخامات كانوا على حق في حرمانه إلا إذا أرادوا إخضاع سلطتهم لصانعي المعجزات والسحرة. قوة الحاخام اليعازر السحرية الجامحة، التي كانت تهدد سلطة الحاخامات، ومن ثم (نتيجة لذلك) وجود العالم، كانت بحاجة لأن تبقى مضبوطة وبالفعل، فقد حُوفِظَ عليها مضبوطة، حتى موته.[3] و في تَصويره ككبير سحرة خطير، وضع الحاخامات نموذج الحاخام اليعازر وفق خطوط كبير السحرة اللدود الآخر، الذي هدّد سلطتهم – يسوع. بكلمات أخرى، يصبح الحاخام اليعازر هنا الصنو الحاخامي ليسوع. انه يجمع في شخصه وحياته سمتين كبيرتين من التصور الحاخامي ليسوع وأتباعه: التجاوزات الجنسية والقوة السحرية. ومن ثم، فإنها ليست فقط عملية مؤلمة لانشقاق "المسيحية" عن "اليهودية"، التي تصبح واضحة هنا؛ بَلْ نلمح هنا الأسلحةَ التي إستخدمها اليهودُ الحاخاميون، ليس فقط لترسيم الحدود التي تفصل ذواتهم عن اليهود المسيحيين، بَلْ لمحاربتهم بكل الوسائل المتاحة لديهم. قِتالُ حتى الموت كان، لأنه حتى الحاكم الروماني برّأ الحاخام اليعازر من تهمة العربدة الجنسية وحتى السماء وافقت على أسلوبه في استخدام السحر ضد المنطق الحاخامي، على السلطة الفوضوية والمدمرة ضد التفسير الرصين للتوراة، على "المسيحية" ضد

[1] يظهر عقيبا أمامه مرتدياً ثياب المفجوع السوداء (كانت هذه هي إشارته "الكتومة" إلى ما حدث).
[2] b BM 59b
[3] b Sanh 68a

الصيغة الحاخامية "لليهودية" في الواقع، "المسيحيون هم نحن"، كما يقول بوياربن، لكن، وهذه هي الرسالة من القصة اليعازر، فهم بحاجة لأن يرفعوا الأقنعة ويهزموا مرة وإلى الأبد.